أثر الدراسات الاستشراقية في التاريخ القديم

أ/فاضل لخضر
جامعة معسكر

Abstract :

Orientalist studies dominated the history of the ancient Near East in particular and ancient history portrayed General, have included a lot of fallacies and unintended non-scientific judgments in various cultural topics. It was behind this intellectual approach certain ideology owners tried to impose their views at the expense of scientific facts and historical documents that bucked a lot of opinions. And our article this small attempt to alert to the risks of the curriculum Orientalist and negative impact on the history of ancient civilizations and call for researchers and historians to correct inaccuracies and incorporation to approach new scientific review what has been written so far in the light of a new reading of the ancient sources and taking into account the data archeology.

الكلمات المفتاحية: الاستشراق- الشرق الأدنى القديم- العقائد- التطور-ما قبل التاريخ- السلالات البشرية- البابليون- السومريون- الرومان-المصريون-فراس السواح- التراتيل-الوثنية- التوحيد- الآلهة- المستحاث.

ترتكز معظم الدراسات التي تعرضت لتاريخ الحضارات و العقائد القديمة وأصل الكون و نشأة الإنسان على المنهج الاستشراقي الذي أرسيت أسسه منذ القرن السابع عشر- إن لم يكن قبل ذلك- وتبلورت أهدافه منذ القرن التاسع عشر.

هذا المنهج الذي وضعت وفقه المناهج التعليمية في التاريخ و العلوم الإنسانية على وجه خاص في أغلب البلدان و منها بلادنا ، أنه بعيد كما سنبين من خلال هذه المداخلة كل البعد عن المنهج العلمي الموضوعي في معالجة قضايا الإنسان والحضارة من حيث التجرد و الحيادية في استقصاء الحقائق وعدم البناء على الأحكام المسبقة وترك التعصب للأفكار وأدلجة القضايا التاريخية والتشكيك في المسلمات بما يخدم قضية أو مشروعا معينا ولو على حساب تاريخ الإنسانية ومنجزاتها على مر العصور.

وإن المتصفح لأغلب المصادر والمراجع التي تدرس لطلبة التاريخ خاصة و العلوم الإنسانية عامة في الجامعات الجزائرية سيلاحظ انسياقا عاما نحو أفكار وتصورات ونظريات تبنيناها ونعاملها نحن للأسف معاشر الأساتذة على أنها حقائق تاريخية دونما تمحيص، بل الأدهى أن منا من لم ينتبه إلى خطورتها ومفاسدها ولم يعرها اهتمامه، وهناك من وقف على الفساد الفكري فيها والمغالطات الشنيعة التي تضمنتها ومع ذلك لا نراه ينبه –أقله–الطلبة حتى لا نقول عامة الناس إليها ، فضلا عن محاولة تصحيحها وتبيان مكمن الزلل و الدس الإيديولوجي فيها حتى يحذرها الناس.

ونحن من منطلق المسؤولية العلمية والأمانة التاريخية اتجاه أجيال من الطلبة الجزائريين الذين ندرسهم وسندرسهم مستقبلا ، وتنبيها على المخاطر الفكرية التي تمس الثوابت الدينية والوطنية التي تشكل قوام الشخصية الجزائرية المشتملة عليها منهجية تدريس التاريخ القديم عامة وتاريخ الجزائر القديم على وجه خاص ،ارتأينا التعرض في هذا المقال إليها وتنبيه جمهور الأساتذة والباحثين والطلبة والمهتمين بهذه الجوانب من تاريخ الإنسانية بشكل عام عليها من أجل استدراك الأخطاء و تصحيح المنهج ودعوة الجميع إلى التكاتف والتعاون وتقديم الحلول العملية لتحقيق ذلك.

لقد تعرضنا لهذا الموضوع من ثلاث زوايا مختلفة حتى تسهل المعالجة حسب الترتيب الزمني، وذلك بتوضيح طبيعة المنهج التي تدرس وفقه كل فترة و المقاييس المرتبطة بها و الأفكار و التصورات التي صيغت له ، مع نظرة عامة على المصادر و المراجع التي تحتويها مكتباتنا الجامعية والمعتمدة بشكل واسع في تدريس هذه المواد أو إنجاز البحوث بها من قبل الطلبة، دون إغفال الأمر المهم وهو نقد مادة هذه المراجع وإظهار التوجه الفكري عند أصحابها وأسبابه ؛ هل هو الانسياق الأعمى وراء أفكار ونظريات المستشرقين ومتابعة الآراء والأفكار المسبقة دونما تمحيص و تبصر ، أم عن سبق إصرار فكري ومحاولة فرض قناعات وإيديولوجيات عن طريق إلباسها ثوب الأحداث التاريخية ، وإبراز ما إذا كانت مراجع يمكن الاطمئنان إلى صدقتيها العلمية تماما ، أم تحتاج إلى مراجعة وإعادة كتابة للتخلص من كل ما يمكن أن يعد سموما فكرية قد تفتح باب التشكيك في العقائد والمسلمات التي نشأنا عليها.

هذه المحاور هي:

1/ عصور ما قبل التاريخ وما يتصل بها من أصل الإنسان وما يسمى خطئا تطوره البيولوجي وإنتاجه الحضاري.

2/ تاريخ العقائد لدى الشعوب و الحضارات القديمة، مع أمثلة تطبيقية.

3/ و قفة على تاريخ الجزائر القديم.

I- عصور ما قبل التاريخ:

تتضمن فترة ما قبل التاريخ" العديد من الموضوعات المتنوعة كالعصور الجيولوجية وظهور الإنسان والعصور الحجرية من العصر الحجري القديم إلى فجر التاريخ في كل مناطق العالم القديم مع ما يتخللها من منجزات دينية ومادية وحضارية حققها الإنسان تدريجيا.

لكن هل وقفنا يوما على طبيعة المعلومات التي ندرسها والمنهج الذي كتبت وفقه، ألم يحدث لنا نحن معشر الباحثين الأساتذة لبس وغموض وحيرة فعلية وفي غالب الأحيان ونحن نقرأ على طلبتنا محاضرات متأكدين من أنها تحوي الكثير من المتناقضات ليس فيما بينها فقط، ولكن بينها وبين الحقائق التي أقرتها المكتشفات العلمية الحديثة.

هل كلفنا أنفسنا عناء التنبيه على الكثير من المغالطات والأخطاء الفادحة التي نعلم يقينا أنها كذلك، لكن للأسف يأخذها الطلبة كمسلمات لمجرد أننا درسناها لهم .ولا أذكر ولو لمرة واحدة أن طالبا ناقشني في تاريخ ظهور الإنسان رغم أن ما كتبه وحفظه يتصادم تماما مع قناعته الدينية حتى لا أقول نتائج البحث العلمي الحديث.

لقد تصفحت عددا من المراجع التي تحتويها مكتباتنا الجامعية والتي يكاد اعتماد الطلبة عليها يكون كليا لانجاز بحوثهم منها كتاب "ما قبل التاريخ" للباحث الجزائري المتخصص في ما قبل التاريخ "محمد سحنوني"[1] ،"المغرب الكبير" للدكتور "رشيد الناضوري"[2] ،"تاريخ إفريقيا العام .المنهجية وعصر ما قبل التاريخ" "لكي زيربو"[3] ، "المغرب القديم "لمؤلفه "محمد بيومي مهران"[4]، "مواقع وحضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم" للدكتور "محمد الصغير غانم"[5] ،"الجغرافيا التاريخية" للدكتور" محمد يسري الجوهري"،[6]"ما قبل تاريخ إفريقيا" للباحثة الفرنسية "هـ.أليمان"[7]،"ما قبل التاريخ في حوض البحر الأبيض المتوسط" للباحث

---

[1] سحنوني محمد :ما قبل التاريخ ، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر،1990.

[2] الناضوري رشيد: المغرب الكبير .العصور القديمة أسسها التاريخية و لحضارية و السياسية ،المجلد الأول، دار النهضة العربية بيروت، 1981.

[3] زيربو كي :تاريخ إفريقيا العام .المنهجية وعصر ما قبل التاريخ ، المجلد الأول ،اليونسكو ،1980

[4] بيومي مهران محمد: المغرب القديم ،دار المعرفة الجامعية ،الطبعة الأولى، الإسكندرية ،1990.

[5] الصغير غانم محمد : مواقع وحضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم ، الطبعة الأولى ، دار الهدى،الجزائر ،2003

[6] الجوهري محمد يسري : الجغرافية التاريخية ، الطبعة الأولى ،المكتبة الجامعية ، الإسكندرية ، الطبعة الأولى ،1988.

[7] Alimen (H),Préhistoire de l'Afrique, éd Boubée, Paris,1955.

م.سوتير[1]، و" فن ما قبل التاريخ" لصاحبه "ل.روفي"[2] ، "تطور الإنسانية.إنسان ما قبل التاريخ " للأثري "ج.مورغان" [3]، و"ما قبل تاريخ الإنسانية" ل "ر.جراهمان" [4]وغيرها كثير من المراجع التي لا يتسع المقام لذكرها لذكرها كلها هنا، التي تختلف في مواضيعها بيد أنها تتشابه تماما في أهدافها والغايات من وراء تأليفها والإيديولوجيا التي تنطلق منها في معالجة تاريخ الإنسانية خلال هذه الحقبة.

إن الخلاصة العامة التي نخرج بها من تصفح هذه الكتب على تخصص بعضها هي:

1- أن الكون بكل ما فيه ظهر مصادفة وبصورة تلقائية دون تدخل من الخالق عز وجل وأنه أوجد نفسه بنفسه. وهذا يفضي بصاحب هذا التصور إلى الالحاد.

2- الحياة على الأرض ظهرت مصادفة ونشأت من تلقاء نفسها نتيجة ظروف طبيعية بواسطة الخلية الحية الأولى التي كونت نفسها بنفسه(نظرية التنظيم الذاتي)،رغم أن الاحتمالات الرياضية والتجارب العلمية المخبرية تثبت استحالة ذلك.

3- أن الحقب الجيولوجية الأربع بعصورها المختلفة شهدت تطور بلايين من أشكال الحياة النباتية والحيوانية انطلاقا من هذه الخلية البدائية وعلى امتداد ملايين السنين وصولا إلى عصرنا الحاضر، وذلك رغم عدم وجود الأدلة الحفرية على هذا التطور المزعوم.(نظرية الانفجار الكمبري المفندة لهذا الرأي).

4- أن الإنسان يشترك والقردة العليا(الشامبانزي، الغوريلا، أورانج أوتان) في أصل واحد –أي أنه من سلالة القردة –وأنه لزمته ثلاثين مليون سنة من التطور ليصبح عما هو عليه اليوم. وهذا الرأي لا شك في أننا نسخر منه نحن ونرفضه ونعتبره من النكات السمجة.ولكننا من ناحية أخرى نعتقد فيه بل ونغرسه في عقول طلبتنا دون أن نشعر لأن المنهج الذي ألفت بموجبه كتب هذا التخصص كان استنادا إلى النظرية الداروينية الحديثة التي لا تختلف كثيرا عن آراء داروين حول أصل الإنسان.

---

1 Sauter(M),Préhistoire de la méditerranée :Paléolithique- Mésolithique, Paris,1948.

2 Revé(L),l'Art de la préhistoire, La Rocothèque, Paris,1993.

3 Morgan(J),L'évolution de l'humanité. L'humanité préhistorique, Paris,1924.

4 Grahmann(R),La préhistoire de l'humanité, Payot, Paris, 1955.

* للأمانة العلمية لقد أخبرني و أنا أكتب هذا المقال أحد زملائي الأساتذة ممن لهم اتصال دائم بالأستاذ سحنوني محمد ونحن نتناقش حول هذا الموضوع ، أن هذا الأخير قد أقر بأن ما تضمنه كتابه السابق الذكر حول تطور الإنسان قد تجاوزته الأبحاث العلمية الحديثة وأنه بحاجة لمراجعة كاملة. ولما سئل عن سبب عدم قيامه بذلك اعتذر بكثرة شواغله العلمية الميدانية.لكنه أبدى موافقته لأي باحث يقوم بذلك عنه.

وللدلالة على هذا القول يكفي أن نعود إلى كتاب ما قبل التاريخ لسحنوني محمد* الذي أشار فيه إلى أصل الإنسان عد فيه القردة الجنوبية من أشباه الإنسان، بل إنه تبنى السلم التطوري وربط الصلة بين هذه القردة البائدة(أسترالوبثكوس، أيجيبتوبثكوس ،دريويثكوس، رامابثكوس...) والإنسان المعاصر بأنواع عدها مراحل انتقالية مستعيرا الأسماء الشائعة الاستعمال لدى الدارونيين الجدد وأنصارهم وهي الإنسان الماهر ،الإنسان المنتصب، الإنسان العاقل النياندرتالي، الإنسان العاقل العاقل.......وغيرها.[1]

ولقد أثبت علم المستحثات الحديث أن هذه الأنواع مجرد مسميات لا وجود لها ولا يوجد شئ يسمى السلم التطوري للإنسان، وأن هذه الأنواع البشرية ليست متعاقبة في الزمن ولكن عاصر بعضها البعض في زمن واحد ،و أن ما يروج له في مقرراتنا الجامعية من أن الإنسان العاقل ظهر في آخر السلسلة التطورية منذ عشر آلاف سنة فقط قبل الميلاد، يعود وجوده على الأرض في الحقيقة إلى ثمانمائة ألف سنة خلت على أقل تقدير بشهادة عالم تطوري وقع على هذا الاكتشاف.

بل إلى أبعد من ذلك بكثير ، فالأدلة المكتشفة أواسط التسعينات في تنزانيا وكينيا ومواقع شرق إفريقيا عموما لم تدع مجالا للشك حول زيف السلسلة التطورية للانسان .فحسب تقديرات علماء التطور فقد عاشت القردة الجنوبية منذ أربعة ملايين من السنين حتى مليون سنة مضت، ومن ناحية أخرى يعتقد أن الكائنات الحية التي تصنف على أنها انسان قادر على استخدام الأدوات عاشت حتى 1،7 إلى1،9 مليون سنة مضت.أما فيما يتعلق بانسان رودولف الذي يقال أنه أكثر تطورا من الانسان القادر على استخدام الأدوات، فمن المعروف أن عمره يترواح بين 2،5 و 2،8 مليون سنة، أي أن انسان رودولف أكبر بما يقرب من مليون سنة من الانسان القادر الذي يفترض أنه سلف له. ومن جانب آخر يرجع عمر الانسان المنتصب إلى نحو 1،6 مليون سنة ما يعني أن عيناته ظهرت على الأرض في نفس الوقت لسلفها المزعوم و هو الإنسان القادر على استخدام الأدوات.[2]

لقد صدمت هذه الحقائق العلمية التي تأكدت في السنوات اللاحقة الأوساط التطورية الأشد تعنتا ودفاعا عن أصل الانسان وتطوره ، فهاهو عالم المتحجرات الأمريكي الذائع الصيت "لويس ليكي" الذي قاد الأبحاث عن البقايا الانسانية في شرق افريقيا لأزيد من ثلاثين سنة يقر بعثوره على

---

[1] سحنوني محمد : المرجع السابق ،ص ص12-32.

[2] هارون يحيى ، خديعة التطور.الانهيار العلمي لنظرية التطور و خلفياتها الايديولوجية ،ترجمة سليمان بايبارا .مراجعة د. أحمد ممتاز سلطان و أورخان محمد علي ، اسطنبول ، بدون تاريخ ، ص .294.

متحجرات لكل من القرد الجنوبي و الانسان القادر و الانسان المنتصب مجاورة لبعضها في خانق أولدوفاي في الطبقة الثانية من طبقات الأرض.[1]

وليس "ليكي "وحده من اعترف بهذه الحقيقة المناقضة لهذا الفكر التطوري ، فها هو عالم المتحجرات من جامعة هارفارد "سيفن جاي جولد" وهم من أساطين الداروينية و أشد المتحمسين لها يتحدث عن هذا المأزق الخطير الذي يواجه نظريته و يهدمها من أساسها بقوله :" ماذا حل بسلمنا التطوري إذا كانت هناك ثلاث سلالات من الكائنات الشبيهة بالانسان تعيش معا في نفس الفترة و من الواضح أن أيا منها لم ينحدر من الآخر. كما أن و لاواحدة منها أبدت ميولا تطورية ".

وأكثر من ذلك تعود بعض الاكتشافات الحديثة التي تحققت في السبعينات بعمر الإنسان العاقل و هو آخر سلالة في قمة السلم التطوري إلى ما يزيد على 1،7 مليون سنة من خلال بقايا كوخ حجري في الطبقة الثانية من الأرض بموقع في إقليم أولدوفاي ، وهو شبيه بالأكواخ الافريقية الحالية ، ولا يمكن أن يكون إلا من بناء الانسان العاقل (العصري) . لكن المشكلة الكبرى في عمره.ما يعني أن هذا الجنس الانساني الذي يمثل قمة التطور البيولوجي و العقلي من المنظور الدارويني موجود حسب معطيات التأريخ المطلق في أسفل هذا السلم لا في أعلاه ، مع أسلافه البعيدين الذي من المفترض أنه انحدر منهم بعد مئات آلاف السنين من التطور و الارتقاء.[2]

وعندما نطلع على كتاب الجغرافيا التاريخية للدكتور سليمان حزين يطالعنا رأي أخذه ولا شك عمن سبقوه ممن يقولون ببدائية الإنسان النيادرتالي مفاده أن الملاحة لم تكن ممكنة قبل العصر النيوليتي أي قبل تسعة آلاف سنة قبل الميلاد . في حين تطالعنا إحدى المجلات العلمية بتاريخ 14مارس1998 أنه تم اكتشاف أنقاض سفينة يعود تاريخها إلى 700000 سنة قبل الميلاد تثبت أن ما يعرف عند دعاة التطور بالانسان المنتصب ويصنف على أنه نوع بدائي جدا لم يكن كذلك ، بل كان يمارس الملاحة منذ زمن بعيد.

نعم نحن بهذا ندرس لطلبتنا فكرا ماديا إلحاديا شئنا أم أبينا ، و إن التسليم بهذه المصطلحات واستخدامها وتعليمها يجعلنا موافقين على الايديولوجيا التطورية التي استحدثتها وإن أبدينا رفضنا للفكر الذي تمثله ، وتقودنا في النهاية و لو ضمنا إلى إنكار أبوة آدم عليه السلام للبشرية.

---

[1] نفسه ، ص95.

[2] نفسه ، ص ص 96-97 .

إن ما يسمى العصور الحجرية بأقسامها طعن في البشرية ونزولا بها إلى مرتبة الحيوانية التي نزهها الله عنها ، إذ تصور الإنسان دون سند أثري أو تاريخي غير مؤول يشيد حضارة قائمة على استخدام الحجارة لخلوه من العقل الذي يتيح له معرفة الأشياء و التعلم .ألا تصوره كتب ما قبل التاريخ عاري الجسم إلا قليلا بهيمة يبحث عن الثمار ويمارس الصيد ولا هم له سوى ذلك منذ 15 ألف سنة قبل الميلاد.

ألا يتعارض ذلك مع صريح القرآن لكريم الذي ورد فيه أن الله عز و جل علم آدم الأسماء كلها ، أي أنه لم يستخلف الإنسان في الأرض دون أن يزوده بالعلم و المعرفة التي تمكنه من تسخير الطبيعة .أليس اعتماد الفكرة القائلة ببدائية الإنسان وحيوانيته تهمة لله عز وجل من حيث أنه ظلم الإنسان حين أنزله إلى الأرض دون توجيه رباني و تركه لنفسه يصارع البيئة من حوله معتمدا على نفسه طيلة آلاف السنين حتى ترقى في سلم الحضارة .أي الفكرين يجب أن ندرس ونزرع في رؤوس أبنائنا خاصة وأنه لا يمكن بأي حال التوفيق بينهما.

ألا يتعارض ذلك مع المكتشفات الأثرية التي أفضت إلى حقيقة مدهشة وهي اكتشاف إبرة متحجرة تعود إلى 27 ألف سنة قبل الميلاد [1]، مما يعني أن الإنسان المعروف بالنيادرتالي الموستيري والمقدم على أنه نوع بدائي كان يخيط ملابسه بنفسه ولا يرتدي فقط أوراق الأشجار وجلود الحيوانات كما يصور لنا.

إذن ألم يئن الأوان بعد للبدء في تصحيح هذه الأفكار الإلحادية المقصودة المدسوسة علينا من غيرنا وحذفها من مقرراتنا الجامعية والدعوة إلى إعادة تدوين تاريخ إنسان ما يسمى خطئا ما قبل التاريخ في ضوء المكتشفات العلمية الحديثة ، أم سندعها على علاتها ونترك هذه الشبهات الفكرية – ولا أقول العلمية –تنال من تكويننا العلمي ، بل ونساعد على ترويجها. وفي ذلك مسؤولية عظيمة.

II –تاريخ العقائد القديمة:

من ضمن المقاييس المقررة على الطلبة نجد "آثار الحضارات القديمة"،"تاريخ الحضارات القديمة" تاريخ الأديان والمعتقدات القديمة"،"تاريخ الأديان والمعتقدات في المغرب القديم "و"المعتقدات والأديان في العالم القديم".

في هذه المقاييس يدرس طلبتنا المعتقدات والأديان القديمة لدى الشعوب والحضارات القديمة وفق محاور متنوعة. فمثلا يدرسون تطور الفكر الديني، ديانة المصريين وسكان بلاد مابين النهرين والفينيقيين والإغريق و اليونانيين و الفرس و البوذية و اليهودية والمسيحية وغيرها .

[1] نفسه ، ص94.

لكن السؤال الذي يستوقفنا هنا هو :بأي منهج ندرس هذه المعتقدات للطلبة ، أي نوع من المعلومات نمدهم بها فيما يخص عقائد هذه الأقوام .هل هي فعلا علمية وصحيحة وتمثل التاريخ الديني الصحيح لها دون تحريف ودس إيديولوجي معاد ، هل المصادر والمراجع المستعملة الأجنبية والعربية منها على وجه خاص حيادية في هذا الشأن أن أم أصحابها يعتنقون فكرا معينا ويبثونه عبر كتبهم ومؤلفاتهم. أليس هناك طمسا للكثير من الحقائق التاريخية في التاريخ الديني القديم عن قصد ووفق خطة مدروسة .هل تنبهنا نحن الأساتذة إلى هذه المسألة وتعاملنا مع المادة العلمية بنقد وتمحيص، أم أننا انسقنا كغيرنا وراء هذا التيار الجارف وساهمنا في الترويج لما يدعو له.ألم يحدث للكثير منا في مشواره التعليمي وأن استوقفته لبرهة بعض المراجع بما تضمنته من مغالطات تاريخية وقفز على الحقائق ثم مر عليها مرور الكرام دون أن يكلف نفسه عناء مناقشتها و البحث في خلفياتها و مقاصدها.

هذه أسئلة كثيرة ولا ريب وتحتاج إلى أجوبة ملحة، لذا كان علينا العودة إلى بعض المراجع المختصة في تاريخ الأديان أو الحضارات القديمة الموجودة في مكتباتنا من أجل الاطلاع عليها .وبعد مراجعة محتويات عدد منها ومطالعة ما فيه ، خرجنا بالخلاصة الآتية:

أ- فساد منهج تدريس الأديان حيث كتب من منطلقات إستشراقية معادية للدين و الأنبياء والرسل.

ب-طغيان الفكر الاستشراقي على الكتب و المراجع التي تؤرخ للديانات القديمة بخاصة بمنطقة الشرق الأدنى القديم ، حيث يعد أصحابها مروجين له عن قصد أو عن غفلة وجهل بسبب إهمال إعمال الفكر و النقد للمادة التي ألفوا بها كتاباتهم.

ج-تصوير التاريخ الديني للمجتمعات القديمة على أنه تاريخ وثني كله لا أثر فيه لدعوة التوحيد وتعمد إسقاط ذكر دعوات الرسل و الأنبياء في حياة هذه الأمم ، وينتج عن ذلك الاعتقاد بأن التوحيد أمر عارض و أن الشرك و الوثنية هي الثابت في معتقدات هؤلاء ، وأن الله تعالى لم يتعهد البشرية بالوحي على فترات من التاريخ.

د-شيوع المصطلحات الإلحادية في الكتب والمراجع بل وجعلها عناوين لمؤلفات كاملة من قبيل: الفكر الديني ، مقارنة الأديان وغيرها التي توحي بأن الدين من اختراع الإنسان ونتاج فكره بفعل تفاعله مع البيئة الطبيعية لمئات السنين ، وأنه تطورت ديانته منذ فجر التاريخ من الشرك وعبادة الآلهة المتعددة حتى وصلت إلى مرحلة التوحيد .وهذا الكلام غير صحيح ويهدم عقيدتنا من أساسها التي تقرر بأن الإنسان الأول وهو آدم عليه السلام خلق مؤمنا موحدا لله تعالى لا بدائياً ولا جاهلا بربه

،ثم وقع الانحراف بعد ذلك في ذريته نحو الشرك والوثنية.وللأسف الشديد كل المراجع التي اطلعنا عليها تنطلق من هذه الفكرة.

و- الاعتماد على الكتب الدينية المحرفة كأصول تاريخية في كتابة التاريخ الديني للشرق الأدنى القديم ونقصد بها التوراة و الإنجيل ،مع استبعاد أصول لاشك في دلالتها وقطعيتها التاريخية وهما القرآن والسنة النبوية اللذان تضمنا أخبار وعقائد العديد من الشعوب القديمة من جملة المصادر المؤرخة لديانة الإنسان القديم، لتعارضها مع فكرهم الاستشراقي.

هـ- التشكيك المتعمد والتأويل الفاسد للنصوص القديمة (السومرية، البابلية.....) المشتملة على دلائل التوحيد(نزول الملكية من السماء في نصوص مدينة أور السومرية ،نسب التشريعات العراقية القديمة المتقاطعة في روحها مع بقايا الوحي السماوي منذ عهد نوح و إبراهيم عليهما السلام) تأويلا غير علمي يفرغها من قيمتها الدينية.

ن-إنكار الوحي و الرسل و الأنبياء في حياة المجتمعات القديمة متابعة للمستشرقين الغربيين ،حتى وجدنا من الكتاب العرب و المسلمين من يشكك صراحة في وجود بعض الرسل [1] ، وآخرون يؤرخون لديانة سكان مابين النهرين وديانة المصريين و الكنعانيين و العرب القدماء [2]، ولا نجد عندهم أي ذكر للرسل الذين بعثوا إلى هاته الأقوام لهدايتهم كرسالة نوح وإبراهيم إلى أهل سومر ، رسالة يونس

[1] فراس السواح : آرام دمشق واسرائيل. في التاريخ و التاريخ التوراتي ، الطبعة الأولى ،دار علاء الدين ،دمشق، 1995 ، ص 54.حيث نجد الكاتب يناقش حقيقة وجود شخصية النبي يوسف عليه السلام ويعتبرها قصة رومانسية أكثر منها تاريخ موثق، لا لشئ إلا لأن المصادر المصرية لم تورد ذكره و التوراة المحرفة ذكرت أخبارا متناقضة بشأنه.

[2] نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:د/بثينة إبراهيم مرسي :تطور الديانة المصرية من خلال لوحات النذور ،الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة ،2010؛أحمد أمين سليم :العصور الحجرية. وما قبل الأسرات في مصر و الشرق الأدنى القديم ،دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية ،2011.؛جيمس هنري برستد ، فجر الضمير ،ترجمة الدكتور سليم حسن ،الهيئ العامة المصرية للكتاب،القاهرة،2001؛فراس السواح : مغامرة العقل الأولى .دراسة في الأسطورة،ط11،دار علاء الدين ،دمشق ،1996؛أحمد أمين سليم ،تاريخ العراق القديم .منذ أقدم العصور وحتى الغزو الإيراني 639ق.م،دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية،2012.؛سيمسون نايوفتس ،مصر أصل الشجرة، الجزء الأول و الثاني ،ترجمة أحمد محمود،ط1، مكتبة الشروق الدولية،القاهرة،2006.؛إيملي تيتر،دوغلاس بريور،مصر و المصريون،ترجمة د.عاطف معتمد ود. محمد رزق،ط1، مكتبة الشروق الدولية ،القاهرة ،2009.؛آنا رويز : روح مصر القديمة، ترجمة إكرام يوسف ،ط1،مكتبة الشروق الدولية ،القاهرة،2005؛ أرنولد توينبي، تاريخ البشرية،الجزء1،ط1،الدار الأهلية للنشر و التوزيع، بيروت،1981.

منها :د/ أحمد أمين سليم ،جوانب من تاريخ وحضارة الجزيرة العربية في العصور القديمة،دار المعرفة الجامعية،

بن متى إلى أهل نينوى من أرض الموصل، رسالة يوسف وموسى عليهما السلام إلى أهل مصر، رسالة إلياس إلى أهل كنعان.إلى جانب دعوة أنبياء العرب هود وصالح وشعيب ولوط إلى أقوامهم لا أثر لها في مراجع تاريخ العرب القديم.[1]

ي-إظهار الوثنية لا التوحيد كأصل لدين الإنسانية.

ولنسق عينات من المراجع العربية والمنقولة إلى العربية التي من المفروض أن لا تحمل مثل الفكر والطرح باعتبارها مراجع علمية والتي انساق مؤلفوها-مع احترامنا الشديد لمكانتهم العلمية- على اقتدارهم العلمي وسعة اطلاعهم وراءها وتبنوها دون تنبه منهم لها، لأن تكوينهم العلمي ومادة تآلفيهم كان وفق منهج المستشرقين، بل إن الكثير منهم تتلمذ على أيدي هؤلاء وتشرب أفكارهم:

- قدم لنا الدكتور رشيد الناضوري -رحمه الله- في كتابه[2] تصورا إستشراقيا محضا عن معتقدات إنسان الشرق الأدنى القديم ، إذ اعتبر أن منشأ الدين وأصله من عمل الإنسان وتصوراته ونتيجة تفكيره وتأملاته الطويلة في ظواهر الطبيعة [3]،هذه الظواهر جسدها في آلهة متعددة عبدها وتقرب إليها، وذلك في كل من سوريا، العراق، مصر، الأناضول، الهضبة الإيرانية. [4]

هذا الكلام يعني ببساطة أن الدين ليس وحيا من الله عز وجل للإنسان من لدن آدم عليه السلام إلى اليوم ، بل إنتاجا فكريا إنسانيا يجوز فيه التغيير و التأويل ، وان أصل هذا الدين الوثنية.

-في نفس الكتاب يشير الكاتب إلى الديانة المصرية في عهد إخناتون على أنها أول دعوة توحيدية في التاريخ ونتيجة للفلسفة الدينية الخاصة لهذا الفرعون[5]، وهذا قول خطير لأن أول دعوة توحيدية هي دعوة آدم ثم نوح من بعده عليهما السلام وهما سابقان زمنيا بكثير لعصر إخناتون.

---

[1] الإسكندرية ،2009.؛د/بيومي محمد مهران ،تاريخ العرب القديم ،الجزء الأول و الثاني ،دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ،2001؛د.جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ،دار إحياء التراث العربي ،ط1،بيروت ،2011؛إسماعيل حلمي محروس ، الشرق العربي القديم وحضاراته، مؤسسة شباب الجامعة،الإسكندرية،1997 لبيب عبد الساتر،الحضارات ،دار المشرق، بيروت،1985؛ يحيى لطفي عبد الوهاب،العرب في العصور القديمة،دار النهضة العربية، بيروت،1979.

[2]الناضوري رشيد :المدخل في التطور التاريخي للفكر الديني ،دار النهضة العربية ، بيروت ،1976.

[3]نفسه ، ص9.

[4]نفسه ، ص ص29-50.

[5]نفسه ، ص ص91- 92.

– تجاهل الكاتب لتفسير أسباب اعتقاد المصريين في العالم الآخر وتصويرهم له بتفاصيل يوجد الكثير منها في ديننا (وقوف الناس في القيامة للمحاسبة أمام الإله ،وزن الأعمال..)، هل هي حقا نتيجة التفاعل مع البيئة المصرية كما يشاع.لكن كيف.

– الباب الثالث من الكتاب يقع فقط في ست صفحات خصصه لتبيان بعض الأحداث الدينية من خلال أسفار التوراة و القرآن الكريم .وانتهى إلى اعتبار تضحية إبراهيم بابنه إسماعيل على أنها عادة وثنية سومرية سامية.[1]

وفوق ذلك يساوي بين التوراة المحرفة و القرآن الكريم في الاستدلال على الأحداث و تعليلها.

–تشير أغلب مراجع تاريخ العرب قبل دعوة النبي صلى الله عليه وسلم إلى" عبارة قبل الاسلام" وكأن العرب لم يعرفوا رسالة الإسلام قبل بعثة النبي عليه السلام.فماذا نعد إذن رسالة ابراهيم أبي الأنبياء و ابنه اسماعيل وهود وصالح ، فان لم يدعو إلى الاسلام ، فما جوهر دعواتهم إذن. وحتى حديثها عن هذه الدعوات السماوية أقرب للحديث عن الأساطير منها عن التاريخ الحقيقي.[2]

– ينسب الدكتور جواد علي في كتابه الموسوعي "المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام" أسباب انهيار سد مأرب إلى العوامل السياسية والاقتصادية و الحروب التي انشغلت بها مملكة سبأ عن العناية به وترميمه.[3]

ومع ذلك لا نجده يشير ولو بكلمة واحدة إلى السبب الفعلي في خراب السد وهو أنه كان عقابا من الله تعالى لأهل مأرب جراء على كفرهم به ، على ما دل عليه القرآن الكريم في سور سبأ.

–يقول الدكتور عبد الحميد الزايد في مقدمة كتابه "الشرق الخالد ": "إن أهم مصادر الديانة الرافدية القصص و الأساطير مثل أسطورة الخليقة وقصة جلجاميش .....وكذلك التعاويذ و الرقى ونصوص التنبؤ و التنجيم..."

ألا يحق لنا أن نتساءل عن سبب تغييب القرآن الكريم كمصدر مهم بل الأول عن ديانة سكان بلاد مابين النهرين.ألم يتحدث القرآن عن قصة الطوفان التي أجمعت عليها المصادر السومرية والبابلية.أليست قصة نوح مشابهة تماما لقصة "زيوسودرا" البابلي الذي أوحى إليه الإله بصنع السفينة لإنقاذ جزء من البشرية من الدمار الذي سيحيق بها.

[1] نفسه ص ص 169، 174.

[2] صالح أحمد العلي ،محاضرات في تاريخ العرب قبل الاسلام، ج1،بغداد ، 1961،ص ص 1-119.

[3] جواد علي ، المرجع السابق ، الجزء 6، ص .246

يصر الدكتور أحمد أمين سليم في كتابه حضارة العراق القديم على الأثر البيئي كعامل أساسي في تشكيل- العقيدة والقيم السلوكية و الأخلاقية لدى الإنسان العراقي القديم بتفسيرات غامضة.[1]

كما يقول أيضا :" و لئن أشير إلى شرائع العالم القديم بأنها أولى جهود البشر في تنظيم الحياة الاجتماعية وفق قواعد وأصول معينة ، فان أهل العراق القديم أنفسهم كانوا يعدون الآلهة مصدرا لهذه الشرائع. والواقع أنها بلغت حدا من الكمال يدفعنا إلى القول بأنها ثمرة جهد و تفكير يستحقان الإعجاب والتقدير." [2]

نعم بهذه البساطة يجزم الدكتور الموقر بأن **مجموع هذه التشريعات من اجتهاد البشر و وضعهم وثمرة جهد وتفكير** رغم أنه يقر بأنها بلغت حد الكمال.ولست أدري كيف أمكنه الإقرار بهذا الكلام لاسيما وأنه يعلم أن مصدر التشريع في حياة الأمم كلها رباني ، خاصة إن كانت تلك القوانين كما هو الحال هنا فيها عدالة اجتماعية و قانونية عالية جدا لا يمكن لمجتمعات لم يمضي على دخولها العصر التاريخي و تدرجها في سلم الحضارة إلا زمن قصير جدا لا يكفي لتتطور فيه نظمها القانونية والتشريعية لتنتج مثل هذه النظم.علاوة على ذلك فإننا إذا ما جئنا ندرس مجتمع ذلك العصر وجدناه طبقيا، والفروقات الاجتماعية والقانونية بين فئاته شاسعة جدا ، و المفروض أن هذا الواقع ينعكس على روح التشريعات و يراعيه المشرع السومري لأنه ينطلق من حقائق الواقع و يبني عليها أحكامه التشريعية.

غير أن مواد تلك التشريعات تقول عكس ذلك ، فقانون حمورابي الذي يقر مبدئي القصاص والتعويض معا في الجرائم ، رتب عقوبات بدنية ومالية على الأشراف و السادة إن هم ارتكبوا جرائم في حق أحد من العامة و العبيد (المواد من 198 إلى204). أي أن هذه المواد وغيرها كثيرة تخالف روح ذلك العصر الذي كانت فيه الطبقة العليا من المجتمع لا تتساوى و الطبقات الأخرى الأدنى منها في كل مناحي الحياة ، إلا أمام القانون.فلماذا الاستثناء هنا فقط ، ومن أقره ؟ الملك حمورابي؟ ليس في النص البابلي للقانون أدنى إشارة إلى أنه ينسبه إلى نفسه ، بل على العكس توضح مقدمة المسلة أن الإله مردوخ أمره بذلك ، وأعلى المسلة تظهره واقفا أمامه يتلقى الشريعة منه.ألا يستوجب كل هذا أن يؤخذ بعين الاعتبار حين البحث في جذور التشريعات العراقية القديمة وأصولها الحقيقية.

---

[1] أحمد أمين سليم ، حضارة العراق القديم ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ،2001، ص159، ص319-320.

[2] نفسه ، ص 237.

بل إننا نجده في موضع آخر يقول عن القوانين و التشريعات العراقية القديمة الأخرى مثل قانون لبت عشتار وتشريعات أوروكاجينا وأشنونة :"ولعل التفكير في أن مصدر القوانين إلهي وأن الملوك حين أصدروها فإنها بوحي من الاله ... "[1]، والغريب أنه لم يوضح عن أي إله يتحدث ، ولم يعر هذه النقطة اهتماما كأنها غير ذات أهمية ، أو ببساطة لأن مناقشتها علميا تفضي إلى القول بأن مصدرها فعلا وحي إلهي ومن بقايا التشريعات الربانية التي جاء بها الرسل . لكن هذا القول يتعارض مع الفكر العام المهيمن على الدراسات الحضارية للشرق القديم الذي ينكر الوحي السماوي ويرى أن هذه التشريعات من وضع الإنسان بتأثير البيئة و المحيط ؟.

هل كان سكان الشرق الأدنى القديم يجهلون التوحيد حقا؟

ها هنا مسألة جوهرية حقا يجب الوقوف عندها طويلا لأن ما كتب فيها لحد الآن كان وفق أقلام المستشرقين الألمان والفرنسيين والنمساويين والانجليز وغيرهم الذين انفردوا بتسطير تاريخ ديانة الشرق الأدنى القديم بحكم الأسبقية العلمية التي حازوها والحفريات الأولى التي تمت في المنطقة تحت إشرافهم. غير أن التزام المنهج العلمي الموضوعي المحايد في معالجة عقائد سكانه لم يكن دائما حاضرا في كتاباتهم، والكثير منهم على ما سنلاحظ انطلق من فكرة أن الوثنية كانت أصلا لعقيدة سكان المنطقة وأنهم تدرجوا من التعددية إلى التوحيد مع الرسالات السماوية. وهناك من أنكر عليهم أنهم عرفوا التوحيد أصلا إما جهلا بالنصوص أو جحودا وإنكارا عليها رغم وجود المستندات التاريخية التي تثبت ذلك، إلا أن الفكر الاستشراقي الإلحادي المناهض للأديان وللتفوق والأسبقية الحضارية لشعوب الشرق الأدنى القديم في المجال الديني أبى إلا أن يطمس هذه الحقائق ويخفيها و يؤولها تأويلا مغرضا مخالفا تماما لما تدل عليه في الحقيقة. ونستثني من هذا الحكم قلة فقط من الباحثين الغربيين والعرب الذين التزموا منهج التحقيق العلمي حين كتبوا في هذا الموضوع.

لقد أوردت النصوص الدينية المصرية والسومرية والبابلية والآشورية والكنعانية من ترانيم وتراتيل وووصايا حقائق مدهشة عن عقيدة التوحيد لدى هاته الأقوام بما يخالف النظرة التقليدية التي كوناها عنها على ضوء الكتابات المتوفرة عنها حتى الآن.

<u>– المصريون القدامى:</u>

في ترتيلة مصرية قديمة نقرأ:

---

[1] نفسه، ص 238.

أبو البدايات ،أزلي دائم قائم

خفي لا يعرف له شكل و ليس له شبيه(ليس كمثله شئ .كما ور د في القرآن الكريم)

سر لا تدركه المخلوقات خفي على الناس و الالهة. سر اسمه ولايدري الانسان كيف يعرفه.(إسم الله الأعظم)

سر خفي اسمه و هو الكثير الأسماء (له الأسماء الحسنى) .

خالق و لم يخلقه أحد، صنع نفسه بنفسه.(لم يلد و لم يولد)

هو الوجود بذاته لايزيد و لاينقص.

خالق الكون وصانع ما كان والذي يكون و ما سيكون وعندما يتصور في قلبه شيئا يظهر إلى الوجود (**إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون**).

و ما ينجم عن كلمته يبقى أبد الدهور. أبو الآلهة، رحيم بعباده يسمع دعوة الداعي، يجزي العباد الشكورين ويبسط عليهم رعايته.[1] (ما بين قوسين إضافة من صاحب المقال على سبيل المقاربة).

هذا النص الديني وأمثاله الذي يكثر في الأدبيات الدينية المصرية منذ عصر ما قبل الأسرات أي فجر التاريخ المصري إلى نهاية التاريخ الفرعوني وقف عنده طويلا عدد من علماء المصريات والحضارات القديمة. فالعلامة الانجليزي **واليس بدج** تناوله في دراسة مدققة أثناء معالجته لمعتقدات قدماء المصريين، وأفضى بحثه إلى النتيجة الآتية أن "المصريين كانوا قوما يؤمنون باله واحد موجود بذاته، خفي، أزلي وأبدي ، كلي القدرة و المعرفة لاتدركه الأفهام و العقول، خالق للسماء والأرض و كل ما عليها وخالق لكائنات روحية كانت رسله وساعديه في تصريف شؤون الكون وهي الآلهة (الملائكة) . وقد استمر الايمان بهذه الألوهة غير المشخصة منذ أعتاب التاريخ المصري إلى نهايته. ومع ذلك لم يكن لها في العصور التاريخية معابد أو هياكل ولم تصور في أي هيئة شخصية و إنما بقيت في الأذهان والقلوب بمثابة قدرة كونية لايحدها وصف أو قول .أما الاسم الذي أطلقوه على هذه الألوهة فهو **نتر**. وكان يرمز إليها في الهيروغليفية بفأس ذات رأس حجري ومقبض خشبي للدلالة على القوة. وصار هذا الرمز يدل على مفهوم الألوهة في الكتابة المصرية.و إلى جانب كلمة **نتر** نجد كلمة أخرى هي **نترو** و تعني الكائنات التي تشترك على نحو ما في طبيعة **نتر** وتسمى عند المصريين في العادة

---

[1] Budge (W.), Osiris and the Egyptian resurrection, Vol 1,Dover, New York,1973, p357.

نقلا عن: فراس السواح، الأسطورة و المعنى،دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية، الطبعة 1، دار علاء الدين، دمشق، 1997، ص ص 189-190.

آلهة.لكننا حين ندرسها عن كثب نجد أنها ليست إلا تجليات لاله واحد. وكان أعلى هذه الكائنات رع إله الشمس الذي كان الوجه المشخص لتلك الألوهة الخافية المدعوة **نتر** ورمزها الذي يتوجه الناس إليه بالعبادة .علما بأن عددا آخر من الكائنات الالهية قد ارتقى إلى مرتبة سامية على مدى التاريخ المصري أهلتهم لتجسيد الألوهة المطلقة مثلما فعل رع. "[1]

نعم هذه شهادة من باحث غربي منصف عن حقيقة اعتقاد المصريين القدامى في الله عز وجل، فهو عندهم أجل من أن يشخصوه أو يجسدوه في إله معين لأنه فوق التصور، فعمدوا إلى اختلاق تجليات وآلهة ليعبروا عنه من خلالها . فالاله رع أو أتوم أو أمون أو أتون و غيرهم الذين ارتقوا بدوافع سياسية في فترات معينة إلى مرتبة كبير الآلهة عند المصريين، لم يكونوا على الحقيقة سادة الكون وخالقيه ومدبري شؤون الحياة فيه، وإنما حسب النصوص المصرية نفسها تجل وشكل من أشكال الاله الحقيقي الذي كان يختفي وراء تلك الأسماء المختلفة، لأن المصريون لم يكونوا يتجرءون على الاشارة إليه مباشرة وإنما من خلال وسائط تزلفا إليه لعظمته وهيبته في نفوسهم، أو بسبب انحرافهم عن عقيدة التوحيد في وقت ما. وبرأيي أن هذا شبيه بما كانت تفعله قريش والعرب في الجاهلية، حيث كانوا يقرون بوحدانية الله تعالى ومع ذلك يعبدون أوثانا مختلفة مثل هبل و مناة واللات والعزى و إساف ونائلة وغيرها، إذ قالوا لما سئلوا " وما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى".

والسؤال المطروح الآن أين هذه النصوص الواضحة الصريحة في دلالتها وحقيقة ما تدل عليه في الكتب والدراسات التي تناولت عقائد المصريين القدامى. أليست في ألفاظها ومفرداتها تقاطعا مع ألفاظ الجلالة وصفاتها. لماذا غيبت واستبعدت عند الكتابة عن الديانة المصرية القديمة وتم التركيز فقط على إبراز تعدد الآلهة وتساويها كسمة مميزة لها. هذا الإجحاف في حق العقيدة المصرية يخدم من بالتحديد ولأي غرض. هل هذا منهج علمي في التعاطي مع القضايا التاريخية؛ استبعاد المصادر والنصوص الموثوق بها والتعامل معها بانتقائية وتأويلها على غير حقيقتها، هل نعد ذلك منهجا سليما في الكتابة والبحث التاريخيين.

قد يقول قائل أن قدماء المصريين عرفوا التوحيد ولكن ليس قبل عصر "**أمنحوتب الرابع**" المسمى "**إخناتون**" – وقد أشرنا لذلك سلفا- وأطلق عليه المستشرقون وحتى أغلب مؤرخي العرب والمسلمين دون خجل " أول الموحدين في التاريخ"، فلهؤلاء نقول بيننا وبينكم النصوص المصرية بحد

---

[1] Budge (W.), Egyptian Religion,Routledge, London,1975.

نقلا عن : فراس السواح، المرجع السابق، ص190.

ذاتها. فالعلامة "**بدج**" يقول بعد دراسته للنصوص المبكرة للأسر الحاكمة الأولى -أي عهد الدولة القديمة- أنه خلص إلى وجود إشارات واضحة إلى هذه الألوهة التي تعلو على بقية تجلياتها القدسية المتعددة.من هذه الاشارات نذكر نتفا من وصايا **كاقمنا** ونص وصايا **بتحاتب** من عصر الأسرتين الرابعة والخامسة وفيها:" إن أفعال **نتر= الله غير خافية علينا- عليك ألا تفزع انسانا لأن في ذلك معاكسة لارادة نتر=الله- إن الخبز الذي تأكله من أعطيات الله-إذا كنت مزارعا فاحرث حقلك الذي أعطاه الله لك-إن الله يحب الطائعين و يمقت العصاة.......الخ"**. [1]

ويعقب العلامة على هذه الحكم و الوصايا بقوله أن الكاتب المصري القديم لم يقصد من كلمة **نتر-الله** الاشارة إلى إله واحد بعينه من الآلهة المصرية وإلا توجب عليه على عادة النصوص المصرية أن يخصه و يذكر اسمه. و إنما كان يشير إلى الله الواحد الخفي الكلي القدرة و المعرفة.أما الآلهة الأخرى التي آمن بها المصريون إلى جانب هذا الاله الأعلى فجميعها مخلوق وعرضة لعوادي الزمن والمرض وحتى الموت. أي أن هذه الآلهة **=نترو** رغم كونها مجبولة من طينة مختلفة عن الانسان وتفوقه قوة و معرفة إلا أنها تخضع مثله تماما لقوانين هذا العالم المخلوق. وهناك العديد من شواهد النصوص مثل كتاب "الموتى الفرعوني "

تؤكد أن المصريين القدماء كانوا يفرقون بشكل واضح بين **الله -نتر** الخالق و **الآلهة -نترو** المخلوقين من قبله و الذين يلعبون دورا أشبه بدور الملائكة الموكلين بوظائف و مهام محددة.[2]

غير أن تصور المصريين لهذه الألوهة المطلقة كان مصحوبا بنوع من التجسيد الذي يجعلها حاضرة بينهم و قريبة منهم ،لذا كان لكل مدينة إلهها الخاص الذي تتجسد فيه كل صفات الاله الواحد ، لكن هذه الآلهة مجتمعة لم تكن سوى وجوها مختلفة لنفس هذه الألوهة. ويدل على ذلك أن المتوفى كان عليه المثول أما آلهة الأقاليم وعددها اثنان وأربعون ليتلو اعترافاته قبل أن يمثل أمام الاله أوزير قاضي العالم الأسفل و كبير الآلهة.[3]

و هناك تراتيل أخرى مرفوعة إلى **أمون-رع و رع** تظهر فيها علائم التوجه إلى إله واحد مطلق فوق جميع الآلهة وغير شبيه بها ، تخضع هي و البشر لسلطته و أمره ونهيه نجد فيها مثلا :" هو الروح

---

[1]فراس السواح، الأسطورة و المعنى ، ص 191.

[2] Budge (W.),Osiris., pp350-357 : 191

نقلا عن : فراس السواح ، الأسطورة و المعنى

[3]نقلا عن : فراس السواح ، الأسطورة و المعنى، ص ص 191-192.

القدس الموجود منذ البدايات ، ميلاده سر وأشكاله لاحصر لها ، كان عندما لم يكن هناك شئ ، ....الخفي المجهول، حاكم العالم، **أخفى من كل الآلهة**، بعد أن خلق نفسه صنع السماء و الأرض بارادته". ويبدو أن مؤلفي هذه التراتيل الدينية و الصلوات التوحيدية أظهروا منذ البداية المبكرة للديانة المصرية معتقدا توحيديا لا لبس فيه. وهذا ما دعا العالم الفرنسي **شامبليون** سنة 1839 إلى القول "بأن الدين المصري يقوم على معتقد توحيدي صاف ، يعبر عن نفسه خارجيا بصيغ شركية تعددية".[1]

على أن هذه التعددية الظاهرية في النصوص المصرية حملت علماء آخرين لم يقفوا على حقيقتها على القول بأن الديانة المصرية قد قامت في الأصل على معتقد شركي تعددي ثم اقتربت تدريجيا من المفاهيم التوحيدية[2]. و هناك من توصل إلى دلالتها الفعلية ونشر آرائه في الأوساط العلمية بشأنها ، ثم غير رأيه دون سند علمي وعاد لتبني الرأي القديم عن الأصل الذي تخلى عن نتائج دراسته المعمقة لعددMaspéro الشركي للعقيدة المصرية . منهم عالم المصريات الفرنسي **ماسبيرو**.

من نصوص الأهرامات والصلوات الموجهة للآلهة من عهد الدولتين القديمة والحديثة التي أوصلته إلى قناعة علمية تامة مفادها أن المصريون على مدار تاريخهم الفرعوني كانوا يقرون بوجود إله واحد أحد لم يجسدوه في أي شكل أو تمثال أو صورة مشخصة ، وجعلوا آلهتهم الأخرى بما فيها الكبرى مثل أمون و رع المجسدة في مختلف الكائنات النباتية والحيوانية و البشرية والجمادية أقل منه مرتبة وتابعة له ، و الأهم أشكالا و تجليات و صورا متعددة له.[3]

وقد لاحظ الأستاذ محمد أبو زهرة جيدا هذه المسألة و تتبعها بالتعقيب في كتابه "**الديانات القديمة**" ورصد هذا الرأي لدى الباحث **ماسبيرو** ، لكنه أنكره عليه وخالفه في مسألة وجود عقيدة توحيدية لدى قدماء المصريين ، إذ قال :"**ولقد شده بعض العلماء بحالة التدين هذه التي شملت المصريين و تغلغلت في كل شئ عندهم إلى درجة تعاظم لديه أن يكون هؤلاء غير موحدين مع تلك القوة في التدين و التشدد فيه. فزعم لهذا أنهم كانوا في الجملة موحدين. وممن وقع في هذا العلامة "ماسبيرو" ، فقد قال(وكان اله المصريين فردا واحدا، عالما بصيرا، لايدرك بالحس،قائما بنفسه ، حيا ، له الملك في السماوات و الأرض ، لا يحتويه شيء، فهو أبو الآباء و أم الأمهات ، لايفنى و لايغيب**

---

[1] نفسه ، ص ص 193-194.

[2] نفسه ، ص 194.

[3] Maspero(G.), Histoire ancienne des peuples de l'orient, Hachette, Paris,1897,p 122.

، **يملأ الدنيا ، ليس كمثله شيء، ويوجد في كل مكان). وهذا الكلام ليس من الحق في شيء، لأن المصريين لم يكونوا موحدين**. "[1].

و نحن نعتقد شخصيا – مع احترامنا الكبير للإمام الأستاذ – أنه تأثر كغيره بالرأي العام السائد المهيمن في الدراسات الاستشراقية آنذاك بخصوص هذه القضية، وبنى موقفه ذاك على مرجعيته العقدية ولكن بدون مقارنة مع نصوص القرآن الكريم، ولم يطلع على فحوى النصوص المصرية القديمة التي بنى عليها **ماسبيرو** قناعته بعد استقراء لها ، وظنه من رأيه الخاص، ولو عاد بنفسه إلى تلك النصوص وأمعن النظر فيها جيدا لوجد أنها تطابق في صفاتها الافرادية التوحيدية الخاصة بالله عز وجل ما في القرآن و السنة الصحيحة مع بعض الاستثناءات التي نعدها من علامات الزيغ و الانحراف عن هذا التوحيد ودلالة عليه. لذلك اتخذ من تفسيرات هذا الأخير دليلا على خطئه إذ قال: " **ولذا أدرك هذا المؤلف خطأه ، فكتب في طبعة ثانية من كتابه ما نصه :(تدلنا الآثار على أنه كان للرهبان منذ عهد الأسرة الأولى آلهته الخاصة. وهذه الآلهة مقسمة إلى ثلاث فرق متباينة الأصول ؛ آلهة الموتى، آلهة العناصر و الآلهة الشمسية). فهذا الكلام يدل على أنه رجع عن رأيه القديم.أو على الأقل هو تقييد له و منع له من الإطلاق**."[2].

غير أنني من جهتي لا أرى في كلام "**ماسبيرو**" ما يدل على رجوعه عن قوله، بل هو تماما يتطابق مع رأي" **بدج** " السابق الذي يقر بوجود تعددية إلهية لدى المصريين لا تتناقض ومعتقد التوحيد الذي كانوا عليه ، بل هي دالة على انحرافهم عنه في فترات معينة واتخاذهم هذه الآلهة وسائط فيما بينهم و بينه، مع تأكيدهم على علوه المطلق عليها و عدم مساواتها له بأي شكل من الأشكال.

وقد استدرك الأستاذ أبو زهرة نفسه على رأيه هذا في الصفحات اللاحقة من كتابه ،إذ أقر أنه:" من الصعب التسليم بأن المصريين القدماء الذين امتد تاريخهم الديني على مدى أكثر من أربعين قرنا من الزمن لم تعرف ديانتهم التغيير والتبديل وإنهم كانوا على عقيدة واحدة طوال تلك السنين، إن ذلك ضد طبائع الأمم و ضد قوانين التحول والانتقال.لذلك لا يجب أن ننفي فرضية أن المصريين عرفوا التوحيد، و أن عقيدتهم ورد عليها هذا التوحيد بدعوة من رسول مبين، خاصة و أن القرآن

---

[1]محمد أبو زهرة، محاضرات في مقارنات الأديان. القسم الأول الديانات القديمة، ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربي، بدون مكان، بدون تاريخ ، ص 6.

[2]نفسه، ص6.

الكريم أثبت وجود دعوة عدد من الرسل إليهم مثل أبي الأنبياء إبراهيم و يوسف وموسى عليهم السلام ".[1]

سكان ما بين النهرين:

لم تقتصر عقيدة التوحيد على سكان وادي النيل بل تعدتها إلى كل سكان الشرق الأدنى القديم، مثلما لاحظ **واليس بدج** في دراساته التي نشرها حوالي عام 1898 وأثارت الاستغراب والنقد من معاصريه، ثم أكد عليها في كتابه الصادر سنة 1911 تحت عنوان **"أوزيريس و عقيدة البعث المصرية"**، ورغم الدراسات الواسعة التي جرت بعده حول أديان وميثولوجيات الشرق القديم الأخرى بعد اكتشاف نصوص الحضارة الرافدية وباقي حضارات الهلال الخصيب، فان أحدا من الدارسين لم ينتبه إلى أن هذه الأديان تظهر شبها كبيرا بالديانة المصرية من حيث إبانة معتقداتها عن نوع واضح من من التوحيد لا يخفى على العين المدققة، وإلى أن التعددية ليست إلا الشكل الظاهري الذي يعبر به معتقد التوحيد عن نفسه.وتظهر الأدبيات الدينية الرافدية بشكل خاص هذا التوجه التوحيدي لاسيما في الصلوات والتراتيل. [2]

ففي ترتيلة سومرية للإله إنليل نقرأ:" **إنليل ذو الكلمة المقدسة والأوامر النافذة، يقدر المصائر للمستقبل البعيد (عالم الغيب) وأحكامه لا مبدل لها(لا معقب لحكمه)، عيناه الشاخصتان تمسح الأمصار(الرقيب)،.........ينحني أمامه الأنوناكي آلهة الأرض طوعا ويقفون في استعداد و ترقب لتنفيذ الأوامر، الرب المبجل في السماء و الأرض، العليم الذي يفهم الأحكام ، راعي جميع الكائنات الحية وحاكمهم ،.......وحده أمير السماء وحده عظيم الأرض ووحده رب الأنوناكي المبجل، عندما بكل روع يقرر المصائر لا يجرؤ أحد من الآلهة على رفع البصر إليه.........، لولا إنليل، الجبل العظيم، لم يكن للإلهة ننتو أن تجلب الموت و لم يكن لها أن تقتل أنت قاضي الكون و صاحب الأمر فيه، عندما تنطق يلوذ آلهة الأنوناكي بالصمت .....أي إنليل، أيها الجبل العظيم ، لك الثناء و الحمد."** [3]

في هذه الترتيلة المختصرة يمسك إنليل بيده صلاحيات جميع الآلهة الرئيسية المعروفة في المجمع السومري ، فهو رب السماء و رب الأرض و رب الشمس و رب الخصب و الزرع و رب الماء و واهب الحياة و رب الموت . وباختصار إنه "الله" الذي لا شريك له في السلطان. أما بقية الأنوناكي

---

[1]نفسه ، ص ص6-9.

[2]فراس السواح ، الأسطورة و المعنى، ص 196.

[3]نفسه، ص198.

من آلهة المجمع السماوي فليسوا أكثر من مجمع ملائكة و قديسين يقفون في الحضرة الإلهية ولا يستطيعون رفع أبصارهم إلى مركز النور الأسمى ومصدر وجوده وصيرورته.[1]

لم يكن إنليل وحده من ارتدى قناع الاله الواحد الذي يجسد الألوهة المطلقة في المعتقد السومري ، فهناك تراتيل مماثلة مرفوعة من قبل كهنة الالهة **إنانا** و أخرى من **إنحيدوانا** كاهنتها الكبيرة وابنة الملك الأكادي **سرجون الأول**، وهي مكتوبة بالسومرية ووصفت بأنها أعظم من اله **آن** إله السماء وكبير الآلهة ورئيس مجمعهم. كما توجد نصوص أخرى موجهة لكل من **عشتار** إلهة الحب و الشهوات البابلية **ونانا–سن** اله القمر الأكادي و **شمش** إله الشمس الآشوري وغيرها نخرج بعد دراسة مقارنة لمجموعها بقناعة أن هذه الآلهة وألقابها كلها ليست في النهاية سوى فكرة عن الألوهة السامية ومنصبا يمكن أن يرتقي إليه أي اله رئيسي من الآلهة الرافدية القديمة. وأنها سواء آنو أو انليل أو إنانا أو نانا ليست إلا ظلالا للقدرة الالهية الواحدة.[2]

إن الخلاصة العامة التي نصل إليها مما سبق الإشارة إليه من النصوص الدينية القديمة أن التوحيد كان أصل معتقدات سكان الشرق الأدنى القديم، وأن مفهوم مجمع الآلهة ليس مفهوما دينيا بقدر ما هو مفهوم سياسي، و رغم تباين الأوصاف والصفات التي عزتها الصلوات والتراتيل لكل اله، إلا أننا نلمس تشابه المصطلحات و الأوصاف في مخاطبته وهي:

–ملك الآلهة جميعا و سيد السماوات والأرض/صاحب الكلمة النافذة و لا مبدل لكلماته أبد الدهور/ينحني له آلهة الأرض وآلهة السماء و يقبلون الأرض أمامه/ بيده النواميس الالهية وألواح الأقدار والي تتوجه قلوب البشر/رب الناس وجميع الكائنات الحية ومصدر حياتهم/أفعاله خافية عن أفهام البشر والآلهة/ منه يستمد الآلهة مقدرتهم على أداء مهامهم....الخ[3].

والآن هل مازال علينا أن ندرس تاريخ الأديان القديمة بمثل ما نفعله اليوم . ؟

III – تاريخ الجزائر القديم:

يحتل تاريخ الجزائر القديم مكانة ممتازة ضمن المقررات الجامعية ، غير أن الملاحظ أن جل حتى لا نقول كل المراجع المعتمد عليها في دراسة وتدريس هذه الفترة من تاريخ الجزائر كتبها الباحثون و

[1] نفسه.

[2] نفسه، ص ص 198-207.

[3] نفسه، ص 208.

الأثريون والمؤرخون الفرنسيون ، وهذا في حد ذاته ليس مشكلة لأن زمام المبادرة كان بأيديهم .إلا أن المنحى والتوجه الذي اتخذته الدراسات والبحوث حول تاريخنا القديم لم يكن علميا ولا حياديا، والمعطيات الأثرية المكتشفة كانت دائما توظف لخدمة المصالح الاستعمارية العليا لفرنسا بالجزائر وليس لكتابة التاريخ الحقيقي للبلاد.

إذن فقد ضحى المؤرخون الفرنسيون الأوائل لاسيما منذ أواخر القرن 19 بالحقيقة التاريخية والموضوعية و الحياد العلمي امتثالا لأوامر السلطة الاستعمارية وأهدافها التي كان أهمها تبرير الاستعمار الفرنسي للجزائر تاريخيا وتصويره على أنه امتداد طبيعي للفترة الرومانية بالمنطقة.

فكبير المؤرخين الفرنسيين بالجزائر المختصين في الفترة القديمة وهو ستيفان غزيل كان من أشد المتحمسين للتجربة الرومانية بالجزائر ولم يبدي منها إلا المزايا و الايجابيات ، في حين سكت عن القهر والتسلط والاستبداد الذي سلطه الرومان على أهالي البلاد.[1]

والكتابة عن تاريخ الجزائر القديم يجب حسب وجهة نظره أن يتماشى ومتطلبات الاستيطان الفرنسي والمشاريع المسطرة، لذلك نجده و غيره من الباحثين يغرف من التجربة الرومانية في كل المجالات متخذا منها نموذجا يحتذى.فمهمة الجيش الفرنسي عنده في الجزائر لا تختلف في شيء عن مهمة الجيش الروماني بافريقيا من حيث المهام و الأساليب (مصادرة الأراضي ، حصر القبائل .....). وهو نفس الطرح الذي ذهب إليه مواطنه "روني كانيا "مؤرخ الجيش الروماني الذي اعتبره مثالا ملهما للجيش الفرنسي بالجزائر[2]:

« **L'armée romaine inspiratrice de l'armée française d'Afrique**»

وحتى على المستوى الاستيطاني ،لم تخرج المحاولات الفرنسية عن سابقتها الرومانية ، فاستقدام المستوطنين الفرنسيين و زرعهم في الجزائر و منحهم أراضي أهل البلاد التي صادروها مع كل التسهيلات الممكنة، و لم تختلف إلا قليلا عن المحاولات الرومانية في هذا المجال.بل إننا نجد "ستيفان غزيل" على وجه الخصوص ينبري بكل حماسة لتشخيص تجربة هذه الأخيرة وتحديد أسباب نجاحها و عوامل فشلها حتى يقدم دروسا عملية للإدارة الفرنسية لكي تتجنب أسباب الفشل في مشاريعها بالجزائر.ومنها احتراق المناطق الجبلية لكونها نواة المقاومة ولأن حركة الاسترداد المورية انطلقت منها أواخر القرن الخامس الميلادي ، وبدونها ستظل المراكز الاستيطانية الفرنسية دوما تحت رحمة الثائرين.

---

[1] Gsell(St) ,L'Algérie dans l'antiquité, Jourdan, Alger,1908.

[2] Cagnat(R),L'armée romaine 'Afrique, Paris,1898,p9.

ويظهر دائما من تتبع تغطية المؤرخين الفرنسيين لتاريخ الجزائر القديم أنهم يتبنون نفس الرؤية الاستعمارية التي تبناها سابقوهم مؤرخو الرومان من أمثال "صالوستيوس"، "تاكيتوس"،"تيتوس ليفيوس "، وذلك بوصف الثورات المحلية الكثيرة التي هزت أركان المقاطعات الرومانية بالجزائر أكثر من مرة بأنها حركات تمردية وانتفاضات وأعمال شغب ولصوصية تحركها أطماع شخصية أو قبلية مثل ثورة تاكفاريناس و يوغرطة و فيرموس وثورة البوار[1]، لا حركات تحررية للتخلص من النير الروماني.كما كانوا يصفون القمع الوحشي وإبادة السكان التي قام بها الجيش الروماني على أنها عمليات تهدئة وبسط الأمن.

كما أننا نجد دراساتهم وطروحاتهم حول هذا التاريخ تتمحور وتدور غالبا حول جدلية الصراع الأبدي بين السهل و الجبل. السهل الذي يعد مركز الحضارة الرومانية بمدنها و مراكزها الحضرية التي تأوي العناصر الرومانية و الأجنبية المهاجرة و من انضم إليها من الأهالي المفتونين ببريقها ، و الجبل و من ورائه الأرياف و القرى و البوادي التي تعد تجمعات أساسية لسكان البلاد الأصليين الرافضين – حسب زعمهم– للنموذج الروماني الذي كله محاسن وايجابيات.[2]

هذا الطرح الذي لا دليل عليه سوى قراءات مضللة لمجموع النقوش والنصوص، إن انسقنا خلفه نجد أنفسنا أمام صورة قاتمة عن الدور السلبي جدا للسكان المحليين الذي ينحصر حسب هؤلاء في العيش في المناطق النائية في فوضى وبغير نظام سياسي وحضاري ينظم حياتهم على هامش الحضارة الأجنبية ينظرون إليها بحقد وينتظرون الفرصة المناسبة للنزول من معاقلهم الجبلية لتدمير مدنها التي تمثل التجسيد المادي لكل ما يبغضونه في الأجنبي ، مغفلين عمدا العوامل السياسية و الاقتصادية والأزمات التي مرت بها الجزائر الرومانية وأدت لخراب معظم تلك المدن، أي أن الرومان كانوا المسؤولين الأكبر عن خراب مدنهم لا أهالي البلاد كما تطالعنا به أغلب الدراسات التي لم تكن أمينة ومنصفة لهم، لأنها كانت تعلم أن تلك الصورة شكلت من مجموع الكتابات و المصادر الرومانية المعاصرة والمعادية بطبعها لهؤلاء. وكان على المؤرخين الفرنسيين توخي الحذر في النقل عنها وإخضاعها للنقد العلمي قبل الاعتماد عليها، ولكنه أمر لا يبدو أنه حدث لأنه يتماشى والغايات الفكرية التي كانت تحكم منهجهم ومحصلتها إثبات القصور الذاتي الحضاري لسكان الجزائر القديمة منذ عصور ما قبل التاريخ، وأنهم لم يقدموا نموذجا حضاريا واحدا أصيلا يعبر عن هويتهم الليبية–البربرية–، بل نماذج مستنسخة عن الحضارات الأجنبية التي تعاقبت على بلادهم والتي كانوا عالة عليها.

---

[1] Marcel (B), La résistance africaine à la romanisation,Maspéro-Sorbonne,Paris,1975,p143.

[2] Lepelley ©, les Cités de l'Afrique Romaine au Bas- Empire, I, Paris, Etudes Augustiniennes, 1979, pp. 126-128 ; Leschi (L), Etudes d'épigraphie, d'Archéologie et d'histoire africaine, Paris, Arts et métiers graphiques, 1957, pp 402-403.

من ناحية أخرى حاول عديد الباحثين طمس الشخصية المحلية الليبية وإلحاقها قسرا بالهوية الرومانية بالقول بأن أصحابها ذابوا فعلا في تيار الرومنة الحضاري واستبدلوا بعاداتهم القبلية الموروثة عن الأسلاف الأسماء والعادات الرومانية، وأن أجيالا كاملة فصلت عن ماضيها الموري[1] .مغفلين معطيات نصية وأثرية مهمة تؤكد وجود ممانعة حضارية وثقافية واضحة وقوية لمحاولات الاختراق الرومانية التي باءت بالفشل و انجرت عنها نتائج معاكسة تماما.

غير أن ذلك لم يمنع وجود عدد من الباحثين نبهوا على خطورة المنهج الذي اتبعه من سبقوهم في المجال وشخصوا معايبه التي تتنافى وأصول البحث التاريخي والأثري، كما أقروا بوجود توجيه مسبق لدراسات نهاية القرن التاسع عشر من السلطة الاستعمارية، وأن ذلك التدخل أثر سلبا على مصداقية الكتابات التاريخية والبحوث الأثرية لأنها أهملت الفترات الأخرى التي تشكل تاريخ الجزائر القديم ، وهي السابقة للفترة الرومانية.أبرزهم بول ألبير فيفيريي الذي شنع على العديد من مواطنيه إنتقائيتهم اللاموضوعية واللاعلمية في التعامل مع تاريخ الجزائر و المنطقة المغاربية عموما خلال العهد الروماني.[2]

من ناحية أخرى عانت الجوانب الأثرية لتاريخ الجزائر القديم من هذا التعسف العلمي والتحيز الإيديولوجي

من أوائل الأثريين الفرنسيين الذين لم يكونوا مؤهلين علميا للقيام بذلك الجهد العلمي الضخم المتمثل في الكشف عن الآثار القديمة، فمعظمهم كانوا ضباطا وإداريين وأعوان الإدارة الاستعمارية. ونتيجة لأساليبهم الغير أكاديمية ألحقوا أضرارا كبيرة بالمواقع الأولى المكتشفة.

من جانب آخر منحوا حسب أوامر أعطيت لهم من أعلى المستويات الأولوية الكبرى للآثار الرومانية ، مما حملهم في كثير من الأحياء على تخريب الآثار العائدة للعهد الإسلامي القائمة فوق منشآت العهد الروماني للوصول إليها ، وهو ضرر لم يكن ممكنا إصلاحه فيما بعد.

بالإضافة إلى ذلك جرى استثمار معطيات الآثار تلك لاسيما النقوش وأطلال المدن في إعادة بناء غير فعلية لصورة المجتمع الإفريقي آنذاك ، من حيث إبرازه في حلية المجتمع الروماني الكامل من حيث عدد عناصر سكانه وثقافتها وأسمائها وحتى انتشارها الجغرافي على خريطة الجزائر القديمة، بحيث يرى القارئ أمامه قطاعا واسعا من المدن وظهيرها الريفي يعج بالعناصر الرومانية وكأنه لا أثر لسكان البلاد من الموريين الذين نعلم أنهم كانوا يشكلون القاعدة السكانية العريضة للبلاد.إلا أن هذه الحقائق لا يبدو أن لها مكانا في تلك الدراسات.

---

[1] Lassère (J-M.), Vbique Populus, Peuplement et mouvement de population dans l"Afrique romaine de la chute de Carthage à la fin de la dynastie des Sévères (146 a.c-295 p.c), Paris. C.N.R.S, 1977, pp482-483.

[2] Février (A), Approches du Maghreb Romain, I, Aix -En Provence, Edisud, 1989, p. 177.

وحتى على مستوى دراسة الأسماء تعمد أكبر متخصصيهم في المجال وهو **جان ماري لاسير** تبني منهج معين في أطروحته المشار إليها أعلاه، يقوم على التعميم لعينات معينة على مدن ومقاطعات بأكملها و إغفال صيغ ونسبة الأسماء ذات الأصول المورية التي تحتويها النقوش الرومانية،لكي يوهم القارئ أن السكان الأصليين تخلوا عن أسماء أسلافهم لكي يتبنوا أسماء رومانية محضة ومن ثمة اتخاذه دليلا على أنهم ذابوا في الحضارة الرومانية متخلين عن شخصيتهم وأصولهم القبلية المورية لفائدة المحتل.

الحلول المقترحة :

بعد هذا الاستعراض الموجز لبعض عيوب منهاج تدريس التاريخ القديم ووضع اليد على الكثير من المغالطات التي احتوتها والكتب والمراجع التي تدرس بها، نرى أن المشكلة ليست هينة على الإطلاق لأنها تمس عقيدة أبنائنا وما نعلمهم إياه سوف ينقلونه إلى الأجيال المقبلة ،لذا يجب الإسراع من الآن في إيجاد الحلول والبدائل العملية لتخليص مناهجنا ومقرراتنا من هذا الدس الفكري على تاريخ البشرية الحقيقي وعقائد الأقدمين وتغيير نظرتنا إليهم على أنهم عاشوا عصورا من التوحش والوثنية بلا هدى ولا دعوة سماوية .لذلك اهتدينا إلى مجموعة من الحلول الآتية نراها فقط انطلاقة نحو تغيير كامل وشامل للمناهج والمقررات نرجو معها إسهام الزملاء الأساتذة وتعاونهم وهي:

1- إعادة النظر كلية أو جزئية حسب الحاجة في منهاج وكيفية تدريس التاريخ القديم في الجامعة الجزائرية خاصة.

2- الدعوة إلى اجتماع عام للمتخصصين في مجال الدراسات القديمة لوضع تصورات جديدة في كيفية تلقين التاريخ القديم بعيدا عن التحيز الفكري عن طريق التخلي عن المعلومات السابقة والبناء على أفكار جديدة تأخذ في الحسبان المكتشفات الحديثة.

3- تخليص مكتباتنا الجامعية تدريجيا من كل المراجع التي ألفت وفق المنهج المعادي للأديان والتي يعرف عن أصحابها تعمد تشويه الحقائق التاريخية لخدمة أهداف فكرية معينة.

4- إطلاق مشروع وطني يشترك فيه جميع الأساتذة المختصين لكتابة ونشر سلسلة من المراجع لتصحيح الأفكار والمعلومات الخاطئة التي احتوتها المراجع القديمة التي يعود عمر بعضها إلى أكثر من قرن ونصف وقد تجاوزتها المكتشفات الأثرية لحديثة.

5- قراءة محايدة للنصوص الأدبية القديمة(الكتابات السومرية والبابلية والكنعانية والمصرية) للديانات المختلفة التي تحمل إشارات حول التوحيد لدى هذه الأمم بعيدا عن تأويلات المستشرقين وتلامذتهم من المؤرخين العرب ، ومقاربتها مع النصوص الإسلامية(القرآن والسنة).